

التسرب المدرسي: أهمية المساعدة النفسية من خلال العلاقة (معلم - تلميذ)

خديجة زيتوني

قسم علم النفس، علوم التربية والأرطوفونيا

جامعة باجي مختار - عنابة

ملخص

التسرب المدرسي ظاهرة معقدة، تواجهها كل المجتمعات والنظم المدرسية في العالم، من خلال ممارستنا بالصحة المدرسية، وقفنا على الصعوبات التي يعايشها يوميا المختصون والفاعلون في الوسط المدرسي، إنَّ العلاقة مع المعلم تعني الكثير بالنسبة للتلميذ خاصة ذلك الذي يعاني من صعوبات دراسية، ومن الضروري تحفيز هذه العلاقة وتفعيلها في ضوء كل المتغيرات الجديدة، ومهم جدا أن يستثمر الأخصائي النفسي هذه العلاقة لوجود أحسن في المدرسة.

الكلمات المفتاحية: تسرب مدرسي، علاقة معلم / تلميذ، أخصائي نفسي.

Le décrochage scolaire : L'importance de l'aide psychologique à travers la relation (enseignant - enseigné)

Résumé

Le décrochage scolaire est un long processus qui commence souvent avant l'école secondaire. Ces facteurs peuvent être liés à l'école: Climat de classe et relations maître-élève problématiques. Cet article affirme que le psychologue scolaire en collaboration avec les enseignants et leurs actions positives peuvent Travailler avec l'élève pour favoriser sa réussite.

Mots-clés: Décrochage scolaire, relation (enseignant - enseigné), psychologue.

School dropout: The importance of psychological intervention through The Relationship (teacher - learner)

Abstract

School dropout is a complex phenomenon facing all societies and education systems all over the world. Through our practice in school health, we became aware of the difficulties that specialists daily face in the school environment. The relationship with the teacher means a lot especially to pupils with study difficulties. Therefore, it is necessary to motivate and activate this relation, and it is very important for psychologists to invest this relation to a better presence in the school.

Key words: School dropout, teacher/learner relationship, psychologist.

مقدمة

كثيرا ما نسعد عندما يسألنا أحد التلاميذ: هل بإمكانك العودة من جديد إلى الدراسة؟ وتدارك ما فاتني!! يوحى لنا ذلك أنه يشعر بصعوبة في مواصلة دراسته مع حاجته الكبيرة للتشجيع والمساندة وأيضا أنه لا يزال يحتفظ بالرغبة في الدراسة والنجاح المدرسي، إنها بعض أهم المشاعر والأفكار المهمة التي تسهل من تدخلات المختصين، خاصة كل من الاختصاصي النفسي العيادي والاختصاصي النفسي لمدرسي.

بالرغم من مساعي نظامي التربية والصحة في الجزائر إلى توفير الخدمات النفسية للتلاميذ، خاصة على مستوى وحدات الصحة المدرسية للكشف والمتابعة (Unité de dépistage et suivi) (UDS)، المتمثلة غالبا في أخصائي نفسي، الذي كثيرا ما يكون متخصصا في علم النفس العيادي، ويكتفي غالبا بمتابعة التلاميذ الموجهين له من طرف إدارات أخرى من الصحة أو المدرسة مثل: الطبيب المدرسي، والمعلم، وقليل ما يوجههم الأولياء أو الإدارة المدرسية.

وحتى إن تنقل الأخصائي النفسي إلى المؤسسات التربوية فلا يمكنه تغطية متطلبات وحاجات التلاميذ في المساعدة والعلاج، لذلك يبقى الأخصائي النفسي عاجزا عن الكشف ومساعدة كل التلاميذ أو الغالبية منهم لكثرة الحالات التي تتطلب المساعدة، وبوجود الكثير من الاضطرابات والصعوبات النفسية والتعليمية وكما أن أغلب أعراض التسرب تكون كامنة في بداياته ومتداخلة مع اضطرابات أو أمراض أخرى، كاضطرابات السلوك مثلا، ومع وجود أشكال مختلفة من المتسربين، تستدعي طرقا مختلفة للكشف عنهم والتكفل بهم. وتتطلب عمل فريق من المختصين كل حسب تكوينه ومؤهلاته.

إذا كان هدف علم النفس المدرسي حسب رينولد Reynold (فطامي، 1999)⁽¹⁾ يقوم على الافتراض القائل بأنه كلما اكتشفت المشكلة بشكل أسرع تمت معالجته بصورة أسهل، والشيء نفسه لصيرورة التسرب المدرسي التي غالبا ما تكون غير ملاحظة أو مفهومة من طرف الأولياء أو المعلمين، بل أحيانا لسوء فهمهم لما يمر به المراهق من صعوبات، يكونون هم أنفسهم مصدرا لدفعه إلى أخذ قرار التسرب وتسريعه، نتيجة المواجهات المتتالية والتي تضعف أو تنهك من مقاومة المراهق وارتباطه بالدراسة، هذه الأخيرة أصبحت تمثل عائقا ومن أسباب شعور المراهق بعدم الارتياح في المدرسة وفي حياته ككل.

في البداية علينا توضيح مفهوم التسرب المدرسي.

I. ماذا نقصد بالتسرب والتسرب من المدرسة؟

لغويا جاءت كلمة تسرب بمعان متعددة في معجم الصحاح⁽²⁾:

- تسرب تسربا ويقال تسرب الرجل أي دخل خفية.
- السَّارِب هو الذاهب على وجهه في الأرض أي على غير هدى.
- تسرب الإبل تعني إرسالها قطعة قطعة.

التسرب المدرسي حسب اليونسكو⁽³⁾ يخص التلاميذ الذين لا ينفون دراستهم في عدد السنوات المحددة لها، إما لأنهم ينقطعون عنها نهائيا أو لكونهم يعيدون السنة أو سنوات معينة.

فالتسرب المدرسي هو ظاهرة تربوية اجتماعية سلبية، أو هو هجر المدرسة دون اتمام مسار التعلم المطلوب والضروري للحصول على شهادة مستوى. بالأحرى لا يحمل التلميذ أي مؤهل دراسي يؤهله للعمل نتيجة لأسباب

وعوامل شخصية واجتماعية وثقافية وأخرى متعلقة بالبيئة المدرسية وما يترتب عليها من خسارة للفرد والأسرة والمجتمع... (4)

نتحدث عندما يغادر التلميذ مقاعد الدراسة، دون أن يكمل مساره الدراسي الطبيعي وبذلك لا يتحصل على شهادة للمستوى، وكثيرا ما يرتبط بمفاهيم متقارب: الرفض المدرسي، والتغيب المدرسي، ونقص الدافعية المدرسي.

II. تسرب ومفاهيم:

استعملت مفاهيم متعددة لوصف وتحليل ظاهرة التسرب من المدرسة، حسب أنواعه المتباينة واهتمامات الباحثين فنجد:

التسرب السلبي حسب روشكس J.-Y. Rochex «Décrochage passif» (5) وهو تسرب يعيشه التلميذ دون مشاكل تكيف مع الوسط المدرسي، إنه يحضر جسديا لكن لا يهتم بدروسه ولا يبدي أي رغبة في التعلم، هذه الحالة من التلاميذ في ازدياد مستمر وللأسف ينقطعون في صمت عن الدراسة.

في حين يتحدث من بورديو وشامباني (6) P. Bourdieu et P. Champagne عن مفهوم الإقصاء أو المقصين من الداخل، « exclus de l'intérieur » تطرقا من خلاله الباحثان إلى تأثير الفروق الاجتماعية "المستوى المعيشي، ومعرفة النظام المدرسي، والمستوى الثقافي" على المسار المدرسي للتلاميذ فهي محددات مهمة للنجاح ومواصلة الدراسة، حتى إن البعض يقتنع بعدم جدوى تعلمه لأنه حتى ولو حظي بشهادة فلن تكون سببا في الحصول على عمل وعلى نجاحه الاجتماعي ويؤكد الباحثان أن فشل التلميذ ليس بفشل شخصي بقدر ما هو فشل اجتماعي ومسؤولية جماعية.

في حين أعطى كولون (A. Coulon) (7) مفهوم اللانتماء «Non-affiliation» H، والذي يطرح من خلاله إشكال شعور عدم الانتماء المدرسي الذي يتطلب إيجاد معنى وثقة كافية في قوة التعلم والتطوير الشخصي، وهو صاحب مقولة "تاجح الذي يتبع" "réussit celui qui s'affilie" ،

كما يضيف كل من كاستل وبايون مفهومين آخرين:

«démobilisation scolaire» (R. Baillon), de «désaffiliation» (R. Castel)

إضافة إلى تسميات أخرى تختلف حسب المرجعية النظرية للباحث وتطبيقاته الميدانية والتي تخضع أيضا للخصوصية الثقافية لمجتمعه وتطور الأبحاث وبرامج المساعدة والعلاج في مجال التسرب المدرسي.

في الجزائر كثيرا ما يتداول مصطلح **Déperdition scolaire**، الذي يعطي الترجمة الفرنسية الموافقة للمصطلح العربي **التسرب المدرسي**، ويفسر على أنه خسارة بطيئة وفقدان تدريجي حسب القاموس الفرنسي. Dictionnaire le petit Larousse (8).

III. من هو التلميذ المتسرب؟

استعمل مفهوم المتسرب الذي تمثله كلمة **Décrocheur**، من طرف الباحثين في مجال الصعوبات المدرسية لأول مرة في كندا وبالضبط في مقاطعة الكيبك Québec، كما يشير إلى التلاميذ الذين انقطعوا عن الدراسة ولم ينهوها في الطور الثانوي (9) لهذا كثيرا ما يظهر التسرب واضحا في فترة المراهقة.

المتسرب le décrocheur، حسب فورنيي M. fournier (10): هو تلميذ ينهي أو ينقطع عن الدراسة دون الحصول على شهادة مستوى....

IV. التسرب، مؤشرات وأشكال: الملاحظ أن التلميذ الذي يعيش التسرب، يظهر مؤشرات كثيرة خلال مسار التسرب⁽¹¹⁾، هذا التسرب يكون كامناً أحياناً ويمتد على سنوات دراسية أو يمر بمراحل تدريجية ولعل آخر وأهم المراحل الملاحظة من جميع المحيطين بالتلميذ سواء بالأسرة أو المدرسة هما:

• **الحادث المفجر Un événement déclencheur:**

الذي يظهر أخيراً كسبب لانقطاع التلميذ، وتكون كل الظروف مهياً، كأن تكون مواقف تحرك فيه كل الأفكار والانفعالات السلبية، لا يهم مدى شدتها: الحصول على علامات سيئة وملاحظات من المعلمين أو الأولياء كأن يحدث: شجار، مشكلة عاطفية، مرض، حادث، حالة نفسية ... خاصة إذا شعر أنه وحيد ومحاصر بأحكام الآخرين السلبية.

• **قرار الانقطاع La decision de décrocher:**

في هذه المرحلة، يقتنع المراهق بأنه قد ضيع كل فرصه، وليس لديه أي خيار سوى مغادرة المدرسة وبذلك يتخلص من كل الضغوط التي لم يعد يتحملها، وبما يصبح قرار التخلي بالنسبة للتلميذ المنفذ الوحيد وخيار سلمي للتخلص من كل ما يضايقه، وبهذا سينتهي مشاكله مع المدرسة والأسرة، وكل المتابعات والملاحظات التي توجه له يومياً.

كثيراً ما يرافق التسرب المدرسي اضطرابات نفس معرفية مهمة .. مما يحدث اختلافاً في حالات التسرب وأشكاله، لنجد نوعين هاميين من التسرب المدرسي: **التسرب الودي Décrochage Amical والتسرب العنيف Décrochage Violent**، هذا الأخير يطرح اضطرابات تكيف مدرسي وسلوكية مهمة، مما يؤدي إلى مواجهات عنيفة بين المعلم والتلميذ، كما يرتبط التسرب المدرسي بظاهرتي العنف والإدمان في بعض الحالات.

إن تدخل النفسي لا ينحصر في العلاج بل تتعداه إلى مقارنة إنسانية شاملة للمراهق-تلميذ هذا الوجود النفسي العاطفي المعرفي والاجتماعي بكل خصوصيته، إن تدخل المختص لا يقف عند التقنيات المستعملة أو وسائل التدخل، بقدر معرفة وتقييم صفة ونوع المشكل المطروح مع الوصول إلى معرفة وفهم موضوع الانسداد الحاصل في مسار الدراسة حسب غايار⁽¹²⁾ (B, Gaillard 2011)

هذا لا يمنع أن يبقى التدخل في إطار تكفل مؤسستي، لجمع كل حلقات الإشكال حسب درجات تأثيرها على الوجود العام للمراهق، ومنح فرص للتعبير الحر لكل من التلميذ والمعلم، وإذا استدعى الأمر الأولياء أيضاً وأطرافاً أخرى ربما قد تفيدنا في مسار التكفل. ويضيف أن تدخلات المختص تتماشى ورهانات مؤسستي المدرسة. إنها مهمات للتكوين والإدماج أيضاً وطلبات متعددة تختلف من تلميذ لآخر، خاصة وأن هذا الأخير لا يعي أحياناً سبب سوء العلاقة المدرسية أو لا يعرف كيف حدث هذا التحول السلبي.

V. طبيعة التفاعل الدينامي في العلاقة (معلم - تلميذ)؟ إن العلاقة التربوية من طبيعتها تفاعلية بين المعلم والتلميذ، ترى (فرانسواز هاغيت، 2000)⁽¹³⁾ أن سن السادسة هو عمر الدخول إلى المدرسة وهي مرحلة تحمل تطوراً هائلاً ومرحلة فاصلة في نفسية الطفل، ابتداء من التنازل عن أنويته وصولاً إلى الالتزام بمواقف جديدة يفرضها عليه المعلم.

تختلف علاقة التلميذ بالمعلم، عن نوع العلاقة التي تربطه بوالديه، وعليه أن يعيش فيها التلميذ (الطفل) خبراته وذكرياته اللاشعورية الأولى المرتبطة بالوالدين، وسوف يسقط على شخص المعلم انفعالاته ومشاعره الطفلية تجاه والديه.

يرى تيموتي وترول (Timothy, j Trull، 2005) (14) أن التلميذ يسقط جزءاً من أناه الأعلى على المعلم كبديل، ومن هنا يعيش التلميذ أزمته النفسية والاجتماعية مرة أخرى مع الصورة البديلة، وهي نقلة قد تفجر مكبوتات طفلية في الموقف الحالي.

كما أننا وقفنا على أن مثل هذه الوضعية النفسية، تتكرر دورياً أثناء مراحل النمو النفسي المعرفي للتلميذ، خاصة مع مروره بمرحلة المراهقة، التي تترافق بتغييرات عميقة على المستوى الجسدي والنفسي، قد تتحول إلى أزمة معارضة وإثبات للذات.

لكن ماذا عن ردود فعل المعلم السلوكية والانفعالية؟

قد تفجر مواقف الطفل المواقف الطفلية لدى المعلم أيضاً. ومن هنا تكون ردود فعل المعلم ردود فعل لا شعورية تحمل أزمة المعلم نفسه فيسقطها على التلميذ ذاته وهنا تحدث أزمة في العلاقة التربوية.

إن المعلم على المستوى التخيلي يمكن أن يعيش ذاته كصورة (صالحة) للوالدين، فيوزع الاهتمام والانتباه على التلاميذ، للصورة المثالية لأهله هو، والتي كان يرغب فيها عندما كان هو نفسه طفلاً بمعنى أن يقوم المعلم بعملية تعويض لذاته، عن الصورة المثالية المفقودة لديه أو تعزيزها بإسقاطها على تلاميذه، أو يحدث العكس بحيث يتقمص المعلم صورة المعتدي أو السلطوي أو أي صورة أخرى تؤثر بصورة سلبية على علاقاته مع تلامذته، يحدث خلال التفاعل نوع من التحويل والإسقاطات النفسية اللاشعورية، التي تكون ضمنية وتظهر عبر السلوكات اليومية والمتبادلة بين الطرفين عاطفياً ومعرفياً.

أشارت الدراسات إلى تأثير المعلم على التلاميذ في جميع المراحل التعليمية في المرحلة الابتدائية (السيد عبد المجيد، 2004) (15) أو المرحلة (المتوسطة) (Bender, 1997) (16) والمرحلة الثانوية.

فالمعلمون الذين يوفرون جواً من الثقة في القسم الدراسي، إنما يسمحون لكل تلميذ أن يرى كل واحد من الآخرين بدلاً من أن يكون غريباً لوحده (باربارا كلارك، 2004) (17). إنهم بذلك يعززون لديه الشعور بالانتماء والرغبة في المشاركة والمنافسة أيضاً.

وفي نفس السياق أشارت دراسة عبد المنعم الدريدي، (2003) (18) والتي اهتمت بدراسة أساليب التفكير لدى المعلمين وتلاميذهم وأثرها على التحصيل الدراسي لدى هؤلاء التلاميذ، (200) تلميذ وتلميذة بالمرحلة الإعدادية (40) معلماً من أهم نتائج هذه الدراسة:

• تؤثر أساليب تفكير المعلمين (المتحرر المحافظ) تأثيراً موجباً دالاً على أساليب تفكير تلاميذهم المناظرة. ويمكن تفسير هذه النتيجة في ضوء أن شخصية المعلم لها تأثير كبير على تلاميذه نظراً لأن المعلم يؤثر في التلميذ بأقواله وأفعاله وسائر تصرفاته الأخرى التي ينقلها التلميذ عنه بطريقة شعورية أو لا شعورية.

إن التفاعلات الحادثة داخل القسم الدراسي المكون من مجموعة من التلاميذ بحيث لكل تلميذ سلوكه المتميز عن سلوك زملائه، يشكل داخل القسم الدراسي تفاعلات وانفعالات متنوعة لا يتمكن المعلم من إدراك جميعها. وكثيراً ما يحاول التحكم في سلوكه بالدرجة الأولى، الذي يعتبر مرجعاً مهماً. لهذا طرحت (باربارا كلارك، 2004) (19) أهمية وجود بيئة تعليمية لا تتسم بالتهديد من جانب المعلمين. ومن المهم تقليل التوتر الموجود

فيها من خلال معامل الوقاية من التسرب الخاصة بالمراقبين المتمدرسين. كما يشير بلوش (Bloch,2003)⁽²⁰⁾ إلى أن نوعية العلاقة مع المعلم هي الأكثر أهمية بالنسبة لهم.

إن دينامية العلاقة بين المعلم والتلاميذ ليست مجرد حاصل جمع سلوك المعلم على انفراد وسلوك التلاميذ على انفراد، فهما معاً يسلكان كجماعة متفاعلة، وجزء من سلوك المعلم يتحدد بجزء من سلوك التلاميذ والعكس صحيح أيضاً، إنه سلوك معقد ومتباين، في تفاعل مستمر.

VII. كيف بإمكاننا تحفيز المعلم لبناء علاقة أحسن مع تلميذه؟

يعيش المعلم مواجهة يومية مع العديد من الحالات المختلفة من الصعوبات والاضطرابات النفسية والمعرفية، متفاوتة الدرجة والتي تعرقل أداءه وتضعب من مهمته، فنجد ردود فعل متباينة من المعلمين خاصة مع عدم تقديرهم وفهمهم لبعض الصعوبات النفسية المعرفية التي يمر بها تلامذته وأيضاً استعدادات وقدرات المعلم الشخصية والمعرفية. يرى غينغري (Gingras,1997)⁽²¹⁾ أن جزءاً كبيراً من الدافعية المدرسية مرتبطة باعتراف وتقييم المعلم، فالعلاقة مع المعلم تعني الكثير بالنسبة للتلميذ خاصة الذي يعاني من صعوبات دراسية. إن التلميذ بحاجة إلى أن يشعر بأنه مرحب به وله مكان بالقسم الدراسي، وما عليه سوى أن يقدم ما يقدر عليه ويحاول التحسن.

فكل تلميذ يرى ذاته من خلال رؤية معلمه له وهو بحاجة لهذا التقدير والاعتراف والقبول وأيضاً الحب، وكثيراً ما نسمع تلميذاً ينوه بدور معلمه في نجاحه أو فشله.

تحدد كامبل (Campell, 2000)⁽²²⁾ أهم العناصر التي يجب أن يرتبط بها المعلم خلال عمله:

أ. ذاته التي تنطوي على شعوره بالتكامل والاستقلالية والتميز في العلاقات مع الآخرين.

ب. الطلاب أفراداً وجماعات يمثلون مركز الاهتمام الأولي ومحل المسؤولية الأساسية.

إن على المعلم قبول حقيقته كونه نموذجاً أخلاقياً، معرفياً ونفسياً يحتذى به على مدار الساعة ويومياً وأن النجاح في ذلك ليس سهلاً ولا يمكن أن يتم عفويًا دون أية ضوابط، كالثقة والاحترام المتبادل قاعدة أساسية في التعامل، والحوار يجعل من الوضعية التعليمية مريحة ومقبولة.

من المجدي تحفيز المعلم وإدماجه في مشاريع المساعدة الوقاية والعلاج والسعي إلى توفير جو الثقة والتفاهم داخل القسم الدراسية، فبإمكان الأخصائي النفسي أن يتحرى الرغبة لدى بعض المعلمين للمشاركة، كما نجد في كل مؤسسة تربوية بعض المعلمين لهم دافعية وحرص أكبر للمساعدة ومرافقة تلاميذهم، كثيراً ما يكون هؤلاء أنفسهم من يفضلهم التلاميذ.

من الطبيعي أن نجد في مدرسة ما بعض من المعلمين الذين ينجذب ويرتاح معهم التلاميذ أكثر من غيرهم، وليس لهذا بالضرورة علاقة بمرود المعلم وكفاءته، بل يفضل التلميذ عند هذا الصنف من المعلمين بعض الخصائص العلائقية النفسية مثل الانفعالية كالود والتعاطف وروح الدعابة أيضاً... إلخ، من مشاعر وسلوكيات تبعث الارتياح، والتفهم والاحترام على بعض الخصائص المعرفية والأكاديمية كالمهارة في التدريس.

لقد أوردت كثير من الدراسات أدوار المعلم، ولكن يبقى هناك دور للمعلم شديد الأهمية ألا وهو دور المعلم كمرتبٍ للشخصية (السيد سلامة، 2000)⁽²³⁾ فالمتوقع من المعلم أن يهتم بإنماء شخصية التلميذ من الجوانب الانفعالية والخلقية والسلوكية والدينية فضلاً عن إنمائها من الناحية الأكاديمية والمعرفية. فالمعلم بإمكانه أن يقوم بدور إرشادي وتوجيهي ووقائي وعلاجي في آن واحد فلا يغفل أحد رمزية صورة المعلم ومدى تأثيره في حياة

تلامذته من كل جوانبها، لكن ذلك يتطلب إطارا خاصا لمساعدة المعلم و تكوينه بدرجة أولى ليكون واعيا ومؤهلا لمثل هذه الأدوار المهمة لنجاح الحياة المدرسية.

يلح كيلي (Kelly,2004)⁽²⁴⁾ على أهمية متطلب جديد يتمثل في برامج إعداد وتكوين المعلمين لمواكبة التغيرات العالمية في إطار لائحة أخلاقية تحدد علاقة المعلم بطلابه وبالعالم كله من حوله.

VIII. الأخصائي النفسي في المؤسسة التربوية: الممارسة بالصحة المدرسية والبحث في هذا الميدان، جعلنا نتدخل لمساعدة ومرافقة الكثير من التلاميذ المتسربين الذين يطرحون صعوبات نفسية، معرفية وعلائقية متفاوتة الدرجات ومختلفة الأعراض على مدى سنوات.

تدخلات الأخصائي النفسي في المؤسسات المدرسية لا تتوقف عند العلاج والمتابعة بل فأدواره متعددة حسب متطلبات الوضعيات والحالات التي تطلب المساعدة فنجد المرافقة النفسية وبرامج للتحسيس والتوعية وفق رزنامة سنوية معدة مسبقا من طرف وزارة الصحة، تباشرها فرق صحية كثيرا ما تضم طبيبا عاما واختصاصيا نفسانيا، أحيانا بمساعدة جمعيات ومتطوعين من المجتمع المدني عموما.

وجدنا خلال متابعتنا للمتسربين مبادرات من بعض المعلمين والذين ساهموا بشكل فعال في مرافقتنا لتلامذتهم، لكن يبقى الكثير منهم لا يهتم بالمساعدة وما بإمكانهم منحه لتلامذتهم، خلال الحصص الدراسية أو حتى بعدها وأدوارهم المتنوعة التي لا تنحصر في إلقاء دروس فقط أو الجانب المعرفي العام.

لمعرفة أهم أفكار وآراء بعض المعلمين عن ظاهرة التسرب المدرسي، والذين يتعاونون معنا ونتواصل معهم طيلة السنة الدراسية من مؤسسات تربوية بولاية عنابة بحيث تمثل في 11 معلما ومعلمة، وتم شرح فكرة وطريقة العمل رفقتهم، خاصة بعض المفاهيم كمفهوم التسرب المدرسي الذي يبقى يجمع مفاهيم متعددة، وقد استعملنا وسيلة بسيطة تتمثل في النقاش وباستعمال تقنية Interview Focus Group⁽¹⁾. كما اطلع المشاركون على موضوع الحوار: التسرب المدرسي والأسئلة مسبقا.

تم طرح هذه الأسئلة على مراحل:

1. ما هي حسبك أهم الأسباب للتسرب المدرسي؟
2. في رأيك في ما تكمن أهمية العلاقة (معلم . تلميذ)؟
3. ماذا بإمكانك فعله أو تغييره لبناء علاقة أحسن للتعلم؟

يقوم نائب عن المجموعة بعد الإجابة عن كل سؤال بقراءة لأهم الأفكار وآخر لكتابتها، لتكون المعطيات على شكل فئات أوساط اجتماعية: مدرسة، عائلة ... إلخ، ثم محاور ومجالات: تربوي، علائقي، نفسي... إلخ. يعتبر Focus group مجموعة نقاش مقابلة وحوار مع مجموعة محدودة من الأشخاص التي تسمح بالحصول على معطيات غنية حول آراء، واعتقادات وتمثلات ومواقف مجموعة معينة نحو موضوع معين وتسمح لنا بفهم تصرفاتهم.

مقتبس من: "Education à ta santé" numéro d'avril 1993

IX. نتائج وتحليل: في مايلي نتعرض أولا إلى حوصلة نتائج الإجابات حسب الأسئلة التي تم طرحها ومناقشتها من طرف مجموعة المعلمين، وجاءت على محاور كالتالي:

المحور الخاص بأهم أسباب التسرب المدرسي:

- أ. برامج وطرق التعليم غير المكيف مع تطلعات وقدرات التلاميذ مما يشكل عدم الارتياح وضغطا كبيرا، خاصة التوقيت مما يجعل مهمة المعلم صعبة على كل المستويات.
- ب. نقص الحوار وصعوبة تكيف التلاميذ مع المعلم ومجموعة القسم،
- ت. سلبية الأولياء ونقص مساعدتهم إما عن جهل، أو تخل عن مسؤولية تعليم أبنائهم *la démission parental* مع صعوبة متابعتهم بصورة منتظمة.
- ث. نقص الدافعية، وصعوبات النمو، والأمراض النفسية والجسدية مع التأثير السلبي بالرفقاء خاصة من انقطعوا عن الدراسة منهم.

أما فيما محور أهمية العلاقة بين المعلم وتلاميذته:

- أ. تقتصر العلاقة في أغلب الأوقات على إلقاء معلومات وتلقي علامات.
- ب. كثرة المشاكل في القسم الدراسي و فقدان عاملي الثقة والاحترام وتدهور العلاقة من سنة لأخرى.
- ت. فقدان المعلم لهويته التقليدية باعتباره مربيًا له مقام وأدوار متنوعة.
- جاءت اقتراحاتهم للتغيير في إجاباتهم عن السؤال الثالث

1. على الجانب الشخصي: ضرورة التكوين المستمر، وطلب الإرشاد النفسي والمساعدة النفسية حتى يتمكن المعلم من أداء مهامه.

2. على المستوى العلائقي:

- أ. التقرب أكثر من التلاميذ ومحاورتهم، وتفهمهم مع محاولة تقديم المساعدة والتوجيه.
- ب. ضرورة توفر أخصائي نفسي على مستوى كل مؤسسة تعليمية وتكوينه المستمر، خاصة في كل ما يمكن أن يساهم به في الوسط التربوي، ليتمكن من مساعدة ومراقبة كل أفراد الوسط المدرسي.

X. مناقشة وتوصيات:

باتت حركات التحديث الناتجة عن العولمة وتطور المعلوماتية وتأثيراتها القوية المتزايدة تحتم علينا إعادة بناء وصياغة أسس جديدة في إعداد وتدريب وتنمية كل العمال وبخاصة المعلمين بحيث تغيرت النظرة إلى المهنة التي تمثل تحديا مستقبليا لمواكبة التطور التقني والانفجار المعرفي والتكنولوجي، لهذا تقدمنا من خلال مقارنتنا النفسية لظاهرة التسرب المدرسي وتفعيل دور المعلم كقطب مهم في الوضعية التربوية والتعليمية. كوضعية شاملة تعكس حياة مدرسية لا يمكن اقتصرها في دروس وعلامات بل تتعداها إلى تفاعلات نفسية معرفية وثقافية.

إن المعلم الجزائري يشارك ويعايش الصعوبات التي يعيشها التلاميذ، وهو في تفاعل مستمر معهم، لكنه يجد الوضعية التعليمية غير مريحة بالنسبة له ولتلاميذته ويشعر بذلك الانفلات الحاصل والواضح في هذه العلاقة، بحيث تراجعت أدواره خاصة مع كثافة البرامج وضغط التوقيت من ناحية واستعداداته الشخصية من ناحية أخرى. كما أشارت ترامبلي (M. Tremblay) (25) إلى أن التلاميذ يعيشون في عزلة كبيرة تعمل وتساعد على تفكيك جماعات الحوار في القسم وعلى المعلم أن يعود إلى وظيفته كمرء، أن يكون حضوره نشطا، وواقعا وفعالاً.

من الضروري أيضا العمل في إطار نفسي تربوي لتأهيل المعلم مع ضرورة توفير برامج للإرشاد النفسي تكون متاحة للمعلمين وذلك لتحسين مستوى الصحة النفسية لديهم أثناء الخدمة. وتهيئتهم لتنوع الأدوار وبذلك مساعدة

تلامذتهم وإدماجهم، فعلى المعلم أن يكون على إطلاع وتقدير لكل ما لدى التلميذ من قدرات ذاتية وإمكانات وميولات، هذا ما يتفق عليه كل من هوسو وكوريا (Hussu, 2001)⁽²⁶⁾ و (Correa, 2003)⁽²⁷⁾ في ضرورة التوجيهات التي يجب مراعاتها في علاقة المعلم بتلاميذه والأخلاقيات التي تحكم هذه العلاقة. كما رأى ميشال جيلي M. Gilly⁽²⁸⁾ أن المعلم لا يرى في الطرف المقابل له سوى التلميذ المتلقي، والمستقبل للمعارف، مهملا الجوانب الأخرى لهذا التلميذ، لكن يختلف ذلك تماما مع متطلبات التلميذ المراهق فهو يرغب أن يجعل علاقته بالمدرس علاقة أفقية تحقق للطرفين معا أهدافهما لكن بالمحافظة دوما على عتبة من تحقيق حاجاته النفسية، والتي تصبح جد مهمة وحساسة في فترة المراهقة: كالحاجة للانتماء، والحب والاحترام، والشعور بالقيمة، وكم هي عميقة وقوية ... التي تحفز دافعيته وتزيد من فرص التواصل الفعال وبذل جهود أكبر للمثابرة والنجاح.

يبقى دور الأخصائي النفسي معقدا ومتعدد المهام في الوسط المدرسي وأيضا حسب متطلبات الحياة المدرسية في إطار برامج توعية أو وقاية من جهة، وعلاج و متابعة من جهة أخرى، لكل من المعلم والتلميذ على السواء، وصولا إلى أسرة التلميذ وكل من يؤثر في دراسته أو حياته عموما، إنها حلقات مهمة وفاعلة في نجاح تدخل المختص النفسي، لمساعدة المراهق التلميذ، ومن المهم أن يكون المعلم عنصرا مهما وفاعلا في أغلب تدخلات الأخصائي النفسي.

كما وجدنا أن المعلمين والنفسانيين بحاجة إلى تكوين وتأهيل، ليواكب المعلم حاجات ومتطلبات تلامذته حسب نموهم النفسي والمعرفي، وليتمكن من فهم الصعوبات التي يطرحونها والتعامل معها بوعي وفاعلية. والمهم بناء جو الثقة والاحترام المتبادل لتكون مسؤولية كل من المعلم والتلميذ.

المدرسة والمعلم هذا الفاعل المؤسسي الأول والمباشر في العلاقة التربوية والتعليمية مع التلاميذ. إن المدرسة الجزائرية اليوم في مواجهة تحديات جديدة، تدفع بها إلى تفعيل التعليم وتقديم نموذج تربوي متكامل ومرصيا ومحفزا لتلاميذها، بمراعاة قدراتهم وظروفهم المتفاوتة.

إننا نبحت من خلال توجهنا لهذه لظاهرة التسرب المدرسي للوقاية منها ومن عواقبها التي هي أكثر خطورة، كالإدمان والانحرافات السلوكية بمختلف أشكالها، فهي تهدد مستقبل شبابنا ومشروع أمة لإنشاء أبنائها وتحصيل كفاءات فاعلة خاصة مع تكفل الدولة بهذه المهمة من خلال التعليم المجاني والإجباري، ومساعدتها لاحتواء عدد أكبر من التلاميذ وتوفير الظروف الملائمة لمواصلة تدرسيهم، لتتويج نهاية مسار التمدريس بشهادة أو مؤهل، يفتح لهم آفاقا جديدة نحو مستقبل أفضل.

الهوامش:

- 1- نايبة فطامي، علم النفس المدرسي، ط2، دار الشروق، عمان، 1999، ص 42.
- 2- الإمام إسماعيل بن حماد الجوهري، معجم الصحاح، دار المعرفة، بيروت، ط2، ص 20.
- 3- عائشة بلعنبر وآخرين : التسرب المدرسي، المركز الوطني للوثائق التربوية، 2001.
- 4- Robert BIBEAU ; L'élève Rapailé, La revue de LEPI N° 87, 1998, p 99.
- 5- Thibert, R ,L'école : facteur de décrochage, les Cahiers pédagogiques (N° 509, décembre 2013, p 123.
- 6- P.Champagne P.Bourdieu, Les exclus de l'intérieur, Actes de la recherche en sciences sociales, Volume 91, Num 91-92, 1992, pp 71-75.
- 7- Coulon, A : Le Métier d'étudiant: l'entrée dans la vie universitaire, Revue française de pédagogie, Volume 131, Numéro 131, 2000, p 138-139.
- 8- Dictionnaire le petit Larousse, Paris, 2012, p 68.

- 9- Guigue .M et autres, **les lycéens décrocheurs de l'impasse au chemin de traverse**, Chronique sociale, N°370, Lyon, 1999, p 14.
- 10-Martine F, extrait de la revue des sciences humaines 124 bis, 02 /2002, p 63.
- 11-Michalski .S & Paradis .L, **Le décrochage scolaire**, les éditions logiques, Québec, 1993, p 15.
- 12-Gaillard, B, **Suivi et accompagnement psychologiques en milieu scolaire**, Approches cliniques, Editions de Boeck Université, 01Ed, Bruxelles, 2001, p 105.
- 13-فرانسوا هاغيت، **علم النفس المدرسي**، ترجمة شاهين لطفي، الدار العلمية الدولية للنشر والتوزيع، الأردن 2002، ص 42.
- 14-Timothy, J.Trull , **clinical psychology**, 7th ed, wadsworth, U.S.A, U.K, Canda, 2005, p 88.
- 15-السيد محمد عبد المجيد ، **إساءة المعاملة والأمن النفسي لدى عينة من تلاميذ المدرسة الابتدائية**، مجلة دراسات نفسية، مج(14)، 3، ع(24)، 2004.
- 16-Bender, W.N.S McLaughlin, ph. **weapons valence in schools: strategies for teachers confronting violence and hostage situation, intervention in school and clinic**, 1997, pp 211-216.
- 17- باربارا كلارك، **تفعيل التعلم**، ترجمة يعقوب نشوان ومحمد خطاب، دار الفرقان للنشر والتوزيع، الأردن، 2004، ص 22.
- 18-عبد المنعم أحمد الدردير، **أساليب التفكير لدى المعلمين وتلاميذهم وأثرها على التحصيل الدراسي لدى هؤلاء التلاميذ**، مجلة دراسات عربية في علم النفس، مج(2)، ع(4)، 2003.
- 19-جاريارا كلارك، مرجع سابق، ص 34.
- 20-Bloch , m.: **la lettre du monde de l'éducation** , N° 432, 2003, p 1-2.
- 21-Gingras. G, **Le décrochage scolaire, en reconnaitre les signes pour le mieux contre**, PRISME, revue trimestrielle, Québec, vol 7, nos 3- 4, 1997, p 23.
- 22-Campell, E., **Professional Ethics in Teaching: Towards the Development of A code of Practice** "Cambridge Journal of Education , Vol.30, 2000, p 86.
- 23-السيد سلامة الخميس، **التربية والمدرسة والمعلم**، دار الوفاء، الإسكندرية، 2000، ص 48.
- 24-Kelly, J.A: **Teaching the World : A New Requirement for Teacher Preparation " Phi Delta kappan**, Vol. 100, No3, 2004, p 42.
- 25-Tremblay. M: **Accrocher les garçons à l'école**, Derwin Grawley, Actualités universitaires, univ news, p 123.
- 26-Hussu, J. **Teachers at Cross – Purposes: A case Dilemmas in Teaching" Journal of Curriculum & Supervision**, Vol. 17, No. 1, 2001, p114.
- 27-Correa, H.: **Agame Theoretical Analysis of the Educational Impact of Differences in the Abilities and Work of Ethics of Teachers and Students**, Journal of Socio – Economics ,Vol. 32,N.03, 2003, p 72.
- 28-S.citron: **L'école bloquée**, Paris, 1972, p 82.